الباب التاسع والستون

وهو باب جامع فيه فصول منثورة لم تذكر فيما تقدم من الأبواب

فصل

في لسان أهل الجنة

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم، حدثنا صفوان بن صالح، حدثني داود بن الجراح العسقلاني، حدثنا الأوزاعي، عن هارون بن رباب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ على طولِ آدم ستين ذراعاً بذراع الملك، على حُسن يوسف، وعلىٰ ميلادِ عيسى ثلاث وثلاثين سنةً، وعلى لسان محمد ﷺ جردٌ مردٌ مكحلون»[1].

وروى داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لسانُ أهلِ الجنة عربي، وقال عقيل: قال الزهري: لسانُ أهلِ الجنة عربي[2].

---

(١) أخرجه بمعناه أحمد ٥/٢٤٣، والترمذي (٢٥٤٥) ولفظه: «يدخل أهل الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين». من حديث معاذ.
وأخرجه ابن عساكر: «تدخلون الجنة جرداً مرداً مكحلين ذوي أفانين أبناء ثلاث وثلاثين على صورة يوسف، وقلب أيوب» من حديث أنس. ذكره في «كنز العمال» (٣٩٣٨٠)، وأخرج الطبراني، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي». كما في «الدر المنثور» ٤/٣.

(٢) أورده ابن كثير في «النهاية» ٢/٥٤٨.

فصل

في احتجاج الجنة والنار

في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «احتجتِ النارُ والجنةُ فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عزَّ وجلَّ لهذه: أنتَ عذابي أعذبُ بك من أشاء، وقال لهذه: أنتِ رحمتي أرحمُ بك من أشاءُ، ولكلٍّ واحدةٍ منكما مِلؤُها»[1].

وفي رواية أخرى: «تحاجتِ النَّار والجنة، فقالت النار: أوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاءُ الناسِ وسقطُهم وعجزهم، فقال الله سبحانه للجنّةِ: أنتِ رحمتي أرحمُ بكِ من أشاءُ من عبادي، وقال للنّار: أنت عذابي أعذّبُ بكِ من أشاء من عبادي، ولكلٍّ واحدةٍ منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئُ حتى يضعَ قدمه عليها فتقول قَطْ قَطْ فهنالك تمتلئُ وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنّة فإن الله عزَّ وجلَّ ينشيءُ لها خلقاً»[2].

فصل

في أن الجنة يبقى فيها فضل فينشيء الله لها خلقاً دون النار

في «الصحيحين» عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «لا تَزَال جهنَّم يلقىٰ فيها وتقول ﴿هَلْ من مزِيد﴾ حتى يضع ربُّ العِزَّةِ فيها قدمه

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٩) في التوحيد: باب (٢٥) ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين﴾، ومسلم (٢٨٤٦) في صفة الجنة: باب (١٣) النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣١٤، ونحوه عند البخاري (٧٤٤٩) المتقدم، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١٣٧٨١) في النعوت، نحوه.

فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قَطِ قَطِ بعزتك وكَرَمِكَ، ولا يزالُ في الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقاً، فيسكِنَهُم فَضلَ الجنةِ»[1].

وفي لفظ مسلم: «يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى، ثم ينشىء الله سبحانه لها خلقاً [مما شاء] فيسكنهم فضل الجنة»[2].

وأما اللفظ الذي وقع في «صحيح» البخاري في حديث أبي هريرة: «وأنه ينشىءُ للنار من يشاء، فيلقى فيها فتقول ﴿هَلْ من مزيد﴾[3] [ق: ٣٠]». فغلطٌ من بعض الرواة انقلب عليه لفظه، والرواياتُ الصحيحةُ ونصُّ القرآن يردُّه، فإن الله سبحانهُ أخبرَ أنه يملأ جهنَّم من إبليسَ وأتباعه، وأنه لا يعذبُ إلا من قامت عليهِ حجتُه، وكذَّبَ رُسُلَهُ قال تعالى: ﴿كلَّما أُلْقِيَ فيها فوجٌ سَأَلَهم خَزَنَتُها أَلَمْ يأتِكُم نَذِيرٌ. قالُوا بَلَى قَدْ جاءَنَا نَذِيرٌ فكذَّبْنَا وقُلْنَا مَا نَزَّلَ الله مِنْ شيءٍ﴾ [الملك) ٨ ـ ٩] ولا يظلم الله أحداً من خلقه.

فصل
في امتناع النوم على أهل الجنة

روى ابن مردويه، من حديث سفيان الثوري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّومُ أخو الموت، وأهلُ الجنة لا ينامون»[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٨) (٣٨) في الجنة: باب (١٣) النار يدخلها الجبارون، والبخاري (٦٦٦١) في الأيمان والنذور: باب (١٢) الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٨) (٣٩) في الجنة: باب (١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٤٩) في التوحيد وهو كما قال ابن القيم: غلط لمخالفته حديث أنس المتقدم (٧٣٨٤) وحديثه الذي يليه (٧٤٥٠) ويدعى هذا النوع في مصطلح الحديث: المنقلب، ونقل الحافظ في «الفتح» ١٣/٤٣٦ قول أبي الحسن القابسي: المعروف في هذا الموضع أن الله ينشىء للجنة خلقاً، وأما النار فيضع فيها قدمه قال: ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشىء للنار خلقاً إلا هذا انتهى.

(٤) أخرجه الديلمي مطولاً (٦٩٠٧) في «الفردوس»، والبزار (٣٥١٧) مختصراً وقال: لا نعلم أسنده من هذا الطريق إلا سفيان، ولا عنه إلا الفريابي، وذكره في «كنز العمال» (٣٩٣٢١) =

وذكر الطبراني من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: سئل نبي الله ﷺ فقيل أينام أهل الجنة؟ فقال النبي ﷺ: «النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون»(١).

فصل

في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها

قال الإمام أحمد، حدثنا يزيد، أنبأنا حمَّاد بن سلمة، عن عاصم بنِ أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ليرفعُ الدرجةَ للعبدِ الصالحِ في الجنةِ فيقول: يا ربِّ أنىٰ لي هذه؟ فيقول [باستغفار] ولدكِ لك»(٢).

فصل

في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا بعمله

قال تعالى: ﴿**والَّذين آمَنُوا واتَّبعتْهم ذرّيتُهم بإيمان ألحقْنَا بهِمْ ذُرِّيَتَهُم ومَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلهمْ مِنْ شيءٍ كلُّ امرىءٍ بما كسَبَ رَهِين**﴾ [الطور: ٢١] وروى قيس، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال:

= بلفظ: «النوم أخو الموت، ولا يموت أهل الجنة». ونسبه للبيهقي في «الشعب»، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤١٥: ورجال البزار رجال الصحيح.

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ١٠/٤١٥، وأحمد في «الزهد» ص ١٥، وفيه «لا يموتون»، وأبو نعيم في «الحلية» ٧/٩٠، وقال: غريب من حديث الثوري تفرد به عبدالله، وفي «صفة الجنة» (٩٠) وقال: رواه الثوري وجماعة عن ابن المنكدر.
وفي الأصل: الطبري بدل الطبراني.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٢/٥٠٩، وذكره الهيثمي ١٠/٢١٠ وقال: رواه أحمد، والطبراني في «الأوسط» ورجالهما رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وقد وثق، والبيهقي ٧/٧٩ في «السنن الكبرى» وفيه: «بدعاء ولدك لك».

قال رسول الله ﷺ «إنَّ الله ليرفعُ ذُريةَ المؤمنِ إليه في درجته، وإن كانوا دونه في العمل، لتقرَّ بِهِمْ عينُه ثمّ قَرَأَ ﴿والَّذينَ آمَنُوا واتّبعتْهم ذُرِّيَتُهم بإيمانٍ ألحقْنا بِهِم ذُرِّيَتَهُم وما ألَتناهُم من عَمَلِهِمْ مِنْ شيءٍ﴾ قال: ما نقصنا الآباءَ مِمَّا أعْطَيْنَا البنين»[1].

وذكر بن مردويه في «تفسيره» من حديث شريك، عن سالم الأفطس، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس قال شريك: أظنه حكاه عن النبيّ ﷺ قال: «إذا دخلَ الرجلُ الجنةَ سأل عن أبويهِ وزوجتِهِ وولده فيقال: أنهم لم يبلغوا درجَتك أو عملك فيقول: يا ربِّ قد عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به ثم تَلا ابن عباس ﴿والَّذين آمَنُوا واتَّبعتهم ذُرِّيَتُهُم بإيمانٍ﴾ إلى آخر الآية[2].

وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية هل المراد بها الصّغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال. واختلافهم مبنيٌّ على أن قوله بإيمانٍ: حال من الذرية التابعينَ، أو المؤمنين المتبوعين.

فقالت طائفة: المعنى والذينَ آمنُوا وأتبعناهم ذُرِّياتهم في إيمانهم، فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به، ألحقناهم بهم في الدرجات، قالوا: ويدل على هذا قراءة من قرأ ﴿وأتّبعتْهم ذُرِّيتُهُم﴾ فجعل الفعل في الإتباع لهم، قالوا وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار، كما قال: ﴿ومِنْ ذُرِّيتِهِ دَاودَ وسُليمان﴾ [الأنعام: ٨٤]. وقال: ﴿ذُرِّيَةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣]. وقال: ﴿وكُنَّا ذُرِّيَةً مِنْ بَعْدِهم أفتهلِكُنَا بِمَا فَعَل المُبْطِلونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣] وهذا قول الكبار العقلاء.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس يرفعه: «إنَّ الله يرفعُ ذُريةَ المؤمن إلى درجتِهِ، وإنْ كانوا دونَهُ في العمل لتقرَّ بِهِمْ عينُه»[3] فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم، ولكنْ لم يكنْ لهم أعمالٌ

(١) أخرجه الحاكم ٢/٤٦٨، وابن جرير في «التفسير» ٢٧/٢٤، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/١١٤ ونسبه للبزار وقال: وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري، وفيه ضعف.

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٦٤٠)، و «الكبير» (١٢٢٤٨)، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١١٤، وقال: وفيه عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف، وفي الأصل: بالإلحاق بهم والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٦/١١٩، ونسبه إلى البزار وابن مردويه.

يبلغون بها درجةَ آبائِهم فبلَّغهم إيَّاها، وإن تقاصر عملُهم عنها. قالوا: وأيضاً فالإيمان هو القول والعمل والنية، وهذا إنما يمكن من الكبار وعلى هذا، فيكون المعنى: أنَّ الله سبحانه يجمع ذرّية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه، إذ هذا حقيقة التبعية، وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم الله إلى درجته إقراراً لعينه، وتكميلاً لنعيمه، وهذا كما أن زوجات النبي ﷺ معه في الدرجة تبعاً، وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهنَّ.

وقالت طائفة أخرى: الذّرية ها هنا الصغار، والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرّياتهم في إيمان الآباء، والذرية تتبع الآباء ـ وإن كانوا صغاراً ـ في الإيمان وأحكامه، من الميراثِ والدِّية والصلاة عليهم، والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك، إلا فيما كان من أحكام البالغين، ويكون قوله ﴿بإيمانٍ﴾ على هذا في موضع نصبٍ على الحالِ من المفعولين، أي: وأتبعناهم ذرِّياتهم بإيمانِ الآباء.

قالوا: ويدل على صحة هذا القول: أن التابعين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، فإنهم مستقلون بأنفسهم ليسوا تابعين الآباء في شيءٍ من أحكام الدنيا، ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلّهم في درجة آبائهم، ويكون أولاد التابعين [البالغون] كلّهم في درجة آبائهم، وهلمّ جرّا إلى يوم القيامة، فيكون الآخرون في درجة السابقين.

قالوا: ويدل عليه أيضاً أنه سبحانه جعلهم معهم تبعاً في الدرجة كما جعلهم تبعاً معهم في الإيمان ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعاً، بل إيمان استقلال. قالوا: ويدلُّ عليه أن الله سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال في حقِّ المستقلين، وأما الأتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهليهم، وإن لم تكن لهم أعمالهم كما تقدم. وأيضاً فالحور العين والخدم في درجة أهاليهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين، فإنهم يرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم.

وقالت فرقة منهم الواحدي: الوجه أن تحمل الذُّرية على الصغار

والكبار، لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه، والصغير يتبع الأب بإيمان الأب. قالوا: والذّرية تقع على الصغير والكبير، والواحد والكثير، والابن والأب، كما قال تعالى: ﴿**وآيةٌ لهم أنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَتهم في الفلكِ المشحونِ**﴾ [يس: ٤١] أي آباءهم. والإيمان يقع على الإيمان التبعيّ، وعلى الاختياريّ الكسبيّ، فمن وقوعه على التبعيّ قوله: ﴿**فتحريرُ رقبةٍ مُؤْمِنَةٍ**﴾ [النساء: ٩٢]. فلو أعتق صغيراً جاز. قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا. قال سعيد بن جبير: عن ابن عباس: «إنَّ الله يرفع ذُرِّية المؤمن في درجته وإن كانُوا دونَهُ في العمل لتقرَّ بهم عيونهم». ثم قرأ هذه الآية[1]. وقال ابن مسعود في هذه الآية: الرجل يكون له القدم، وتكون له الذُّرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقرَّ بهم عينه، وإن لم يبلغوا ذلك. وقال أبو مجلز: يجمعهم الله له كما كان يحبُّ أن يجتمعوا في الدنيا. وقال الشعبي: أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة. وقال الكلبي عن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء، وإن كان الأبناء أرفع درجةً من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء. وقال إبراهيم: أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً، قال: ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين فمن قرأ: ﴿**واتّبعْتهم ذُرِّيتهم**﴾ فهذا من حقِّ البالغين الذين يصح نسبة الفعل إليهم كما قال تعالى: ﴿**والسَّابِقُونَ الأوّلُونَ من المُهَاجِرِينَ والأنْصار والذين اتَّبعُوهُم بإحْسان**﴾ [التوبة: ١٠٠] ومن قرأ: ﴿**وأتْبَعْنَاهمُ ذُرِّياتِهِمْ**﴾ فهذا في حقِّ الصِّغار الذينَ أتْبَعَهُمُ الله آباءهم في الإيمان حكماً فدلت القراءتان على النوعين.

قلتُ: واختصاص الذُّرية ها هنا بالصّغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصغار فإنَّ أطفال كلِّ رجلٍ وذريته معه في درجته. والله أعلم.

---

(١) تقدم مرفوعاً ص ٤٨٠ ت (١).

فصل

في أن الجنة تتكلم

قد تقدم قوله ﷺ: «احتجتِ الجنةُ والنارُ»[1]، وقوله: «قالت الجنةُ يا ربِّ قد اطردتْ أنهاري، وطابتْ ثماري فعجلْ عليَّ بأهلي»[2] وقال إسماعيل بن أبي خالد، عن سعيد الطائي: أخبرتُ أن الله [تعالى] لما خلق الجنةَ قال لها: تزيني فتزينتْ، ثم قال لها: تكلمي، فتكلمتْ، فقالت: طوبىٰ لمن رضيتَ عنه[3]. وقال قتادة: لمَّا خلقَ الله الجنة قال لها: تكلمي، فقالت: طُوبىٰ للمتقين.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا بقية، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله جنةَ عدنٍ خلقَ فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشرٍ، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: قَدْ أفلحَ المؤمنونَ»[4].

فصل

في أن الجنة تزداد حسناً على الدوام

قال عبدالله بن أحمد: حدثنا خلف بن هشام، حدثنا خالد بن عبدالله، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبدالله بن الحارث، عن كعب قال: ما نَظَرَ الله إلى الجنةِ إلا قال: طيبي لأهلكِ، فتزدادُ طيباً حتى يدخلها أهلُها[5].

---

(١) تقدم ص ٤٧٧ نحوه ت (١) و (٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٨٥)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٩)، والخطيب في «التاريخ» ١١/٢١٣ - ٢١٤ نحوه من حديث أبي سعيد مرفوعاً.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٤٣٩).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢١).

فصل

في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن

كما تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك. وقول الحوراء لامرأته في الدنيا: «لا تؤذيه فيوشك أن يفارِقَك إلينا»[1]. وحديث عكرمة، عن النبي ﷺ في قول الحوراء: «اللهَّم أعنْهُ على دينكَ، وأقبلْ بقلبهِ على طاعتِكَ»[2].

وذكر ابن أبي الدنيا، عن أبي سليمان الداراني قال: كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة، فكان إذا نزلوا فهو يصلي، وإن أكلوا فهو صائم، فصبر عليه رفيقه ذاهباً وجائياً، فلما أراد أن يفارقه، قال له: يا أخي أخبرني ما الذي هيَّجك إلى ما رأيت؟ قال: رأيت في النوم قصراً من قصور الجنة، وإذا لبنة من فضة ولبنة ذهب، فلمّا تمّ البناء إذا شرفةٌ من زبرجد، وشرفةٌ من ياقوت، وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها، عليها ثوب من فضة يتثنى معها كلّما تثنت، فقالت: جُدَّ إلى الله في طلبي، فقد والله جددت إليه في طلبها، فهذا الذي تراه في طلبها.

قال أبو سليمان: هذا في طلب حوراء، فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها؟

فصل

في ذبح الموت بين الجنة والنار

قال [الله] تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُم يومَ الحَسْرةِ إذْ قُضيَ الأمرُ وهُمْ في غَفْلَةٍ وهُمْ لا يُؤمنونَ﴾ [مريم: ٣٩] وعن أبي سعيد الخدري [رضي الله عنه] قال:

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٤٢، والترمذي (١١٧٤) في الرضاع: باب (١٩) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢٠١٤) في النكاح: باب (٦٢) في المرأة تؤذي زوجها.

(٢) تقدم ص ٣٠٤ ت (٥) مطولاً.

قال رسول الله ﷺ: «يجاءُ بالموتِ كأنَّه كبشٌ أملحُ فيوقفُ بينَ الجنةِ والنارِ، فيقالُ: يا أهلَ الجنةِ، هل تعرفونَ هذا؟ فيشرئبونَ وينظرونَ ويقولونَ: نعم. هذا الموتُ. قال: ثم يقالُ: يا أهلَ النارِ، هل تعرفونَ هذا؟ فيشرئبونَ وينظرونَ ويقولونَ: نعم. هذا الموتُ، قال فيؤمر به فيذبحُ، قال: ثُمَّ يقال: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ فلا موتَ، ويا أهلَ النارِ خلودٌ فلا موتَ، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ ﴿وأَنْذِرْهُم يومَ الحسْرةِ إذْ قُضيَ الأمرُ وهُمْ في غَفْلَةٍ وهُم لا يُؤمِنُونَ﴾»[1] متفق عليه.

وفي «الصحيحين» أيضاً من حديث ابن عمر [رضي الله عنهما] أن رسول الله ﷺ قال: «يُدخلُ الله أهلَ الجنةِ الجنةَ، ويدخلُ أهلَ النارِ النار، ثم يقومُ مؤذنٌ بينهم، فيقولُ: يا أهلَ الجنةِ لا موتَ، ويا أهلَ النارِ لا موتَ كلٌّ خالدٌ فيما هو فيه»[2].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهلُ الجنةِ إلى الجنة، وصار أهلُ النارِ إلى النارِ أُتيَ بالموتِ حتى يُجعلَ بينَ الجنةِ والنار، ثم يذبحُ ثم ينادي منادٍ: يا أهلَ الجنةِ: لا موتَ، ويا أهلَ النارِ لا موتَ، فيزدادُ أهلُ الجنةِ فرحاً إلى فرحهم، ويزدادُ أهلُ النارِ حزناً إلى حُزْنِهم»[3].

وعن أبي هريرة [رضي الله عنه] أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ أُتيَ بالموتِ مُلَبَّباً فيوقفُ على السُّورِ الذي بينَ أهلِ الجنةِ وأهلِ النارِ، ثم يقالُ: يا أهلَ الجنةِ فيطلعونَ خائفينَ، ثم يقالُ: يا أهلَ النارِ فيطلعونَ مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقالُ لأهلِ الجنةِ وأهلِ النارِ: هل تعرفونَ هذا؟ فيقولُ هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه، هو الموتُ، الذي

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠) في التفسير: باب (١)، وأنذرهم يوم الحسرة، ومسلم (٢٨٤٩) في صفة الجنة: باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.
يشرئبون: يرفعون رؤوسهم إلى المنادي.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٤) في الرقاق: باب (٥٠) يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ومسلم (٢٨٥٠) في الجنة: باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٤٨) في الرقاق، باب (٥٠)، ومسلم (٤٣) في الجنة: باب (١٣).

وُكِّلَ بنا، فيضجِعُ فيذبحُ ذبحاً على السُّور، ثم يقالُ: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ لا موتَ، ويا أهلَ النارِ خلودٌ لا موتَ»[1] رواه النسائي، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وهذا الكبش، والإضجاع، والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً: وقال: الموت عرض، والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح، وهذا لا يصحُّ فإن الله سبحانه ينشىء من الموت صورةَ كبشٍ يذبحُ، كما ينشيءُ من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها، ويعاقب، والله تعالى ينشىء من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها، وينشىء من الأجسام أعراضاً، كما ينشىء سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً. فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرَّبِ تعالى، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين، ولا شيئاً من المحالِّ، ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت، فهذا كلّه من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله، والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل، وسببه قلّة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه، فظنَّ هذا القائل أن لفظ الحديث: يدلّ على أن نفس العرض يذبح. وظنَّ غالط آخر أن العرض يعدم ويزول، ويصيرُ مكانه جسم يذبح، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه، وأن الله سبحانه ينشىء من الأعراض أجساماً يجعلها مادة لها كما في الصحيح عنه ﷺ: «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنّهما غمامتان»[2] الحديث. فهذه هي القراءة ينشئها الله سبحانه غمامتين.

وكذلك قوله في الحديث الآخر: «أنّ ما تذكرون من جلال الله من تسبيحِهِ وتحميده وتكبيره وتهليله يتعاطفن حول العرش، لَهُنَّ دَوِيٌّ كدويِّ النحلِ يذكرنَ بصاحبهن»[3] ذكره أحمد.

وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها: «فيقول

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٣٦٩ و٣٧٧ و٥١٣، والترمذي (٢٥٥٧) مطولاً في الجنة: باب (٢٠) ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤) في صلاة المسافرين: باب (٤٢) فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة.

(٣) قطعة من حديث أخرجه أحمد ٤/٢٦٨.

من أنتَ؟ فيقـول أنا عملك الصّـالح، وأنـا عملك السيّء»(1) وهذا حقيقـة لا خيال، ولكنّ الله سبحانه أنشأ له من عمله صورةً حسنة، وصورة قبيحة، وهل النور الذي يقسم بين المؤمنين يوم القيامـة إلا نفس إيمانهم، أنشأ الله سبحانـه لهم منه نوراً، يسعى بين أيديهم، فهذا أمر معقول لو لم يَرِدْ به النصّ، فورود النصِّ به من باب تطابقِ السمعِ والعقلِ.

وقـال سعيـد، عن قتـادة: بلغنـا أن نبي الله ﷺ قـال: «إنَّ المؤمنَ إذا خرجَ منْ قبرِهِ صُوِّرَ له عملُه في صـورة حَسنةٍ وبشـارة حسنة، فيقـولُ له: من أنتَ؟ فـوالله إني لأراك أمرأ الصِّـدقِ، فيقول لـه: أنا عملك، فيكـونُ له نـوراً وقائداً إلى الجنة. وأما الكافرُ إذا خرج من قبره صُوِّرَ له عملُه في صـورةٍ سيئةٍ وبشـارة سيئة فيقـولُ: ما أنتَ، فـوالله إني لأراك أمرأ السـوءِ. فيقولُ لـه: أنـا عمَلُكَ، فينطلق به حتى يدخله النار»(2).

وقال مجاهد: مثل ذلك.

وقال ابن جريج: يُمثّلُ له عمله في صورة حسنة، وريحٍ طيبةٍ، فيعارض صاحبه ويبشره بكل خيرٍ، فيقول له: من أنتَ؟ فيقول: أنـا عملُك فيجعلُ لـه نُوراً بين يديـه حتى يدخله الجنـة، فذلـك قولـه: ﴿يَهديهمْ رَبُّهم بـإيمانهمْ﴾ [يونس: ٩] والكَافِرُ يُمثَّلُ له عَمَلُه في صورةٍ سيئةٍ وريح منتنةٍ، فيلازم صـاحبه ويلاذه حتى يقذفه في النار.

وقال ابن المبارك: حدثنا المبارك بن فضالـة، عن الحسن أنه ذكـر هذه الآية ﴿أفَمَا نَحنُ بميّتينَ إلا موتتَنَا الأولى وما نَحنُ بمُعَذَبينَ﴾ [الصافات: ٥٩] قال: علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه، فقالوا ﴿أفما نحنُ بميّتين إلا موتَتَنا الأولى وما نحن بمعذبين﴾ قيل: لا، قالوا: إن هذا لهو الفوز العـظيم.
وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه: أمن أهـل الجنة من المـوت، فطاب لهم العيش، وأمنوا من الأسقام، فهنّاهم في جوار الله طول المقام، ثم يبكي حتى تجري دموعه على لحيته.

---

(1) أخرجه أحمد ٤/٢٨٧ في حديث طويل.

(2) ذكره في «كنز العمال» (٣٨٩٦٣) وقال: أخرجه ابن جرير - عن قتادة مرسلاً.

obeikandi.com

فصل

في ارتفاع العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر فهي دائمة

روى مسلم في «صحيحه» من حديث جابر بن عبدالله [رضي الله عنهما] أن النبي ﷺ قال: «يأكلُ أهلُ الجنّةِ فيها ويشربونَ، ولا يَتمخطونَ ولا يَتغوطونَ، ولا يبولونَ، ويكونُ طعامُهم ذلك جُشاءً ورشحاً كرشحِ المسكِ، يلهمون التسبيحَ والحمدَ كما يُلهمون النَّفَس»[1].

وفي رواية «التسبيح والتكبير كما تلهمون» بالتاء المثناة من فوق: أي تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس، كما تلهمون أنتم النفس[2].

فصل

في تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم في دار الدنيا

قال الله تعالى: ﴿**فأقبلَ بعضُهم على بعضٍ يتساءَلونَ، قال قائلٌ منهم إني كان لي قرينٌ**﴾ [الصافات: ٥٠ ـ ٥١] الآيات. وقد تقدم الكلامُ عليها. وقال [تعالى] ﴿**وأقْبَلَ بعضُهم على بعض يتساءلونَ، قالوا إنَّا كنّا قبلُ في أهلِنَا مُشْفِقِينَ، فمنَّ الله علينا ووقانا عذابَ السَّمُوم. إنّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدعوهُ إنهُ هو البرُّ الرحيم**﴾ [الطور: ٢٥ ـ ٢٨].

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث الربيع بن صبيح، عن الحسن، عن أنس يرفعه: «إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ يشتاقُ بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعاً فيتكيء هذا، ويتكيء هذا، فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غفرَ الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم يوم كذا وكذا، في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفرلنا»[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٥) (١٨) و(١٩) في الجنة: باب (٧) في صفة الجنة وأهلها.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٥) (٢٠) في الجنة: باب (٧).

(٣) أخرجه البزار في «كشف الأستار» (٣٥٥٣) باب زيارة الإخوان في الجنة، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٤٢١/١٠، وقال رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن دينار، والربيع بن صبيح، وهما ضعيفان، وقد وثقا.

وإذا تذكروا ما كان بينهم، فتذاكرهم فيما كان يُشْكِلُ عليهم في الدنيا من مسائل العلم، وفهم القرآنِ والسُّنة، وصحةِ الأحاديث أولى وأحرى، فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألَذّ من الطعام والشراب والجِماع، فتذاكر ذلك في الجنة أعظم لذّةً، وهذه لذّةٌ يختص بها أهل العلم، ويتميزون بها على من عداهم. والله المستعان.

obeikandl.com